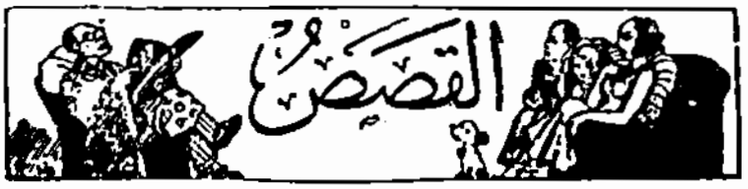

امرأة معذبة

للاستاذ يوسف يعقوب حداد

جاء بغداد يبحث عن المتعة لنفس حرمت المتع منذ عهد بعيد ، جاء بغداد ينشد فيها حياة جديدة ، حياة ممتعة ، بعد أن مل الحياة على وتيرة واحدة ، كأنها اسطوانة واحدة ، تتكرر كلما اشرقت الشمس وغابت !

وكانت ليلته تلك فى الفندق ، أول ليلة له ينام فيها وحيداً ، غريباً ، فما سبق أن ألف حياة الوحدة والغربة .

ودقت الساعة الكبيرة الماثلة أمامه عشر دقات ، فوجد نفسه ضجراً ، قلقاً ، لا يدرى أين يقضى سواد هذه الليلة ، وقد اعتزم من قبل ألا يترك لحظة واحدة من أيام اجازته القلائل تذهب مأسوفاً عليها ! ... وفجأة تذكر ان فتيات (ملهى الأنوار) ينزلن هذا الفندق ، فتساءل بينه وبين نفسه ، لم لا يذهب إلى (ملهى الأنوار) ويتعرف على جاراته الحسان ؟ ... لم لا يمضى هذه الليلة بين كأس ووتر ؟ ! ...

وفى طرف منعزل من حديقة الملهى ، كان يشرب (بيرة) مثلجة ، ويسمع نغماً عابثاً ، ويتطلع بعينين جائعتين إلى أربع وعشرين ساقاً ، تلمع كالسيوف الصقيلة ، تحت أشعة المصابيح الصغيرة الملونة ! ...

ولفتت نظره واحدة منهن ، كانت تشرب الكؤوس متتابعة ، وتتبذل بافراط ، قد كشفت عن صدرها وظهرها فى إسراف ، فظل يرمقها من مجلسه ، لا يكاد يحول عينيه عن جسدها العارى ، أو ينقل نظراته عن صدرها الماجى ، وكم اشتاق إلى صدرها المريض ليريح عليه رأسه المتعب ...

كان من عباد الجمال الغربى ، يثيره منه الشعر الأشقر كأنه سلاسل من ذهب ، والعيون التى كأنها بحار من لازورد ، والجسد الرشيق كأنه رمح صقيل ، والنهود النافرة كأنها تتحدى السماء فى عجرفة وكبرياء !

وكان صدره يتمزق اسى وحسرة حين وجد هذه الفانية اللعوب تتنازل الشيوخ وقد عرفت فى محافظهم انتفاخاً مغرياً ، وتعزف عن الشباب وقد أدركت أنهم لا يملكون فى جيوبهم غير مناديلهم المعطرة ! ... أحس أنه يشتهى هذه الفانية ... ولكن دنانيره الهزيلة أضعف من أن تستطيع الوصول به إليها ، فأسرع يغادر الملهى ، ليدفن رأسه بين طيات وسادته ، ويصم أذنيه عن صدى أغانى الراقصات المخنثاريات المثيرة ، ويغمض عينيه عن طيف « جانيت » الفتاة البوهيمية اللعوب التى أبت الا أن تظل ماثلة أمام عينيه بدلالها ، وجسدها الملوء فتنة ، التفجر حيوية !

وأوشك أن يتغلب على الشيطان الذى يحاربه ، أوشك أن يصرع الوحش الماثل الذى هاج فى اعماقه ويستسلم لنوم عميق هادىء ، لولا أن رن جرس الباب رنيناً متصلا ، مزعجاً ، أطار النوم الذى كان يغالب جفنيه ، فاعتدل يحاول أن يتبين الوقت فى ساعة يده الفسفورية ، فالتقى عقارب الساعة تشير إلى الثالثة بعد منتصف الليل .

وتعالت عليه من أسفل السلم ضحكات ناعمة ، رن صداها فى

أنه كان فقير الحال ليس لديه كسوة تقيه عادية البرد أما البيتان فهما .

أصحابنا قصدوا الصبوح بسحرة ... وأتى رسولهم الى خصيصا

قالوا اقترح شيئاً نجد لك طبخه ... قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

ولقد ورد فى كتاب مساهد التنصيص فى شرح شواهد التلخيص كلمة خصوصاً لا (خصيصا) وقد أيدنى فى هذا مجمع فؤاد الأول للغة العربية .

بغداد ... عبد الخالق عبد الرحمن

أذنيه المرهفتين ، فتذكر فتيات الملهى ، ثم ما لبث أن رأى « جانيت » تلك الفتاة التي اثارته بانوثتها الحية وجسدها الغرى وهي تدلف بخفة ورشاقة إلى غرفة التلفون المقابلة لغرفته ، وتتحدث بلثة انكليزية ركيكة إلى خادم الملهى تسأله أن يرسل إليها زجاجات من (البيرة) المثلجة ! فادرك من التواء الكلمات في فمها ، وتعثر الألفاظ على شفتيها انها ثملة ، وانها فقدت السيطرة على اعصابها !

ولأول مرة رآها من قريب ، فراحت عيناه تلتهمان لحمها العاري المتورد وقد انحسر عنه الثوب ، ولكنه استطاع أن يقاوم ثورته وتشبث بسريره بقوة ، وظل صدره يرتفع وينخفض بشدة ، وأحس بقلبه يخفق في عنف ! ... لقد أوشك أن يجن في اشتهاء هذه المرأة ، وكاد صدره يتمزق حسرة ؛ لأنه لا يستطيع ارواء غليله منها ! ... لأول مرة شعر أنه يكره من اعماق قلبه اغنياء الناس ، يكرههم ، ويحسدهم ، مع أنه عاش حياته قانعاً بنصيبه من النعمة ، يحب الناس وتحبه الناس !

ولم يطل الصمت بعد أن أوت كل فتاة إلى غرفتها وأسلمت نفسها لأحضان فراشها وهي تلهث كالحيوان المتعب ، فقد دق جرس الباب مرة أخرى ذلك الرنين الطويل المزعج ، واقتحم الفندق ثلاثة من أبناء الذوات ، قد افقدتهم الخمر شعورهم ، وفيما هم يجادلون خادم الفندق جدالا سخيفاً ، مملا ، إذا بتلك الفتاة تخرج من غرفتها عارية إلا من ورقة التوت التي استترت بها جواء ، فما كادت عيون الشباب السكارى تقع على محاسنها المكشوفة ، حتى ثارت في عروقهم وحوش الشهوة ، فتشبثوا بها يريدونها لمتعتهم سواد تلك الليلة ، ولكن الفتاة ابت ، وحاولت أن تتملص من الأذرع الفولاذية ، ولكنها لم تستطيع — فالفريسة قد وقعت بين أنياب الوحوش الكاسرة ! ... غير أن « جانيت » لم تشأ أن تستسلم لهم ، كالشاة الذليلة إلى المجزرة — فثارت فيها تلك الأبوة الجاثمة في اعماقها ، وراحت تسعى للخلاص بكل قوتها ، وما كان منها وقد كادت تخور قواها ، إلا أن تصوب من كفها الرخصة ، صفعة قوية إلى أشدهم قسوة ، تكفي لإرهاب الوحوش ، وابعادهم عنها ، ولكن هذه الصفعة التي تناهى رنينها إلى غرفة الفتى — قد أثارت نشوة الشاب المصفوع ، وأحس بأن كرامته قد اذلتها امرأة — يستطيع احقر الرجال أن يذل كرامتها ، ويشتري شرفها وعزتها ، فتناول الفتاة بالضرب المبرح حتى أدمى جسدها .

وسمع الفتى صوت « جانيت » وهي تستغيث بصوت باك يقطع نياط القلب ، فقفز من فراشه وقد ثارت حميته ، وخف لنجدة المرأة المستغيثة ... وحين لحق بها ، وجدها مرفوعة في الهواء ، على ذراعي أحد الشباب السكارى ، يريد أن يقذف بها من حالق !

وانقذ الفتاة من موت محتم ... ثم عاد إليها ليجدها وقد اسلمت نفسها لبكاء مر يفتت الكبد ويذيب الحجر !

لم تكن الفتاة تبكي من جراحها الدامية أو من ألم الضربات المبرحة ، وإنما كانت تبكي حظها ، تبكي طهرها ، تبكي عفافها ... كانت تبكي لأنها فقدت الطهر والعفاف ، وصارت واحدة من بنات الليل ، تفرش عفافها تحت أقدام اللذة المنهومة وتعرض جسدها للمذلة والمهانة ! ... كانت تبكي في مرارة مؤلمة ، وتنشج في حرقة وحرارة ؛ لأنها امرأة ضعيفة تعجز عن الانتقام لكرامتها والدفاع عن نفسها ... كانت تبكي لأنها عند الناس بائعة هوى رخيصة يستطيع كل من يملك ثمنها ان يؤجرها لمتعته وهواه ! ... نعم ، كانت تبكي لأنها في هذا البلد امرأة غريبة ليس لها من يحميها وقد حرمتها الحرب زوجها وطوح بها القدر الساخر إلى عالم داعر فاجر تتواثب في ساحته ذئاب ضارية وتتحفز لتقطع عنقها وتفترس جسدها ! ... جرح الرصاص زوجها ، واختطف الموت طفلها — وساقها القدر من بلد إلى بلد وتنقل بها من ملهى إلى ملهى ، تبيع لطلاب المتعة جسدها ، وتشتري لنفسها الحياة !

كانت تشكو للفتى ظلم الحياة وقسوة القدر ، وتمزج حديثها بالدموع وتنفث من أعماق صدرها الزفرات ، وهو جالس أمامها وقد فاض قلبه بالعطف والحنان ، ولولا الحياء لمزج دموعه بدموعها ، كان وقيق القلب ، سريع التأثر إلى حد بعيد !

وسألته متوسلة أن يتحدث إلى خادم الملهى يستحثه على إرسال زجاجات (البـــيرة) فقد اعتادت أن تذيب همومها فى كؤوس الخمرة ، ولـكن الفتى اشفق عليها من كثرة ما شربت تلك الليلة ، فابى عليها أن تشرب ، واقنعها بأن تذهب إلى فراشها وتحاول أن تنام ... إن الإنسان لا ينسى همومه إلا إذا نام أو مات ! ... غير أن الفتاة الحت وتوسلت وكادت تقبل يديه من أجل كأس واحدة تخفف بها بعض أساها ، ولـكنه سألها فى تأثر بالغ وهو يدفع بهـا إلى مخدعها فى رفق — ولـكنك ستقتلين نفسك يا سيدتى ... انك تنتحرين ! فرفعت إليه عينين ذابلتين بللتهما الدموع ، وأجابته فى صوت خافت ذبيح النبرات — يا ليتنى يا سيدى استطعت ... ليتنى وضعت حداً لهذه الحياة الذليلة ، حياة العار والمذلة !

وعاد إلى غرفته ...

كانت الساعة تعلن النصف بعد الرابعة حين سمع الفتى صوت بابها وهو يفتح ، ويرى ظلها أمامه على الحائط المقابل لغرفته وهى تضع كأسا على شفتيها ، ودق قلبه دقات مضطربة وهو يسمعها تبكى بكاء مخنوقاً وتسعل سعالا مكتوماً ، فغادر غرفته ليستطلع أمرها ، وكم كان ارتياعه شديداً ، حين رآها تتجرع كأساً من حامض الفينيك كان خادم الفندق يعقم به الغرف والممرات !

وأسرع إليها كالمجنون ينتزع الكأس من بين شفتيها انتزاعاً ، ثم دس سبابته فى فمها ليرغمها على إخراج ما أدخلت فى جوفها من سم زعاف !

كانت الفتاة بين يديه كالخرقة البالية ...

كانت كالغصن الذابل المقطوع من شجرة ...

كانت جسداً متخاذلا جامد الأطراف ...

إن هذه الناعمة على صدره ، المستسلمة لذراعيه — العارية بين يديه هى نفسها تلك المرأة التى اشتهى أن يمد يده إلى لحمها العارى لتحسس نعومته وطراوته ... إنها نفسها تلك المرأة التى اشتاق منذ ساعات إلى صدرها العريض ليريح عليه رأسه المتعب .. ولـكنه بحث عن تلك الرغبات فى نفسه فلم يجد لها أثراً ... كانت قد ماتت فى صدره كل الرغبات ولم تعد تختلج أو تتحرك ! ... إن ذاك الوحش الهائل الذى كان قد ثار فى صدره بعد أن رآها لأول مرة فى الملهى قد خمدت ثورته وشلت كل حركة فيه ! .. ذلك الوحش الهائل نفسه قد عاد الآن إنساناً تختلج فى قلبه عاطفة نبيلة إنسانية كريمة !

وأسرع يلف جسدها العارى بملاءة فراشه ، ويحملها إلى أقرب طبيب !

ولم يبق فى ذلك الفندق أكثر مما بقى ، فقد كانت تلك المرأة كلما وقعت عليه عيناها تذكر تلك الليلة المشؤومة فتهمل الدموع من عينيها ، وتنكأ الجرح العميق الذى خلفته فى قلبها ...

اشفق عليها من مرارة الذكرى ، وغادر الفندق إلى الابد !

عراق ... البصرة

يوسف يعقوب حداد

رحلات

ظهرت الطبعة الثانية للرحلات الأولى

لصاحب العزة الدكتور عبد الوهاب عزام بك

وزير مصر فى الباكستان

وهى سفر جليل فى التعريف ببلاد تجاورنا وتواصلنا ، والتنبيه إلى رعاية ما بيننا وبينها من أواصر ووشائج أحكمها الله والتاريخ ، وهى تمتاز برقة الأسلوب ودقة الوصف وإيراد الطريف من الملح والنوادر فى الأدب والتاريخ والاجتماع تزيد عليها فصول من الرحلات الثانية التى ستظهر قريبا .

ثمن هذا المجلد ثلاثون قرشا عدا أجرة البريد

وهو يطلب من مجلة الرسالة ومن المكتبات الشهيرة